الوظائف الاقتصادية للأسرة فى مراحل اكتمال التكوين

أ.د. مهني محمد إبراهيم غنايم

كلية التربية– جامعة المنصورة – مصر

فى موسوعة الأسرة، الجزء الرابع (الباب السادس–الفصل الرابع) الديوان الأميرى،دولة الكويت برعاية مؤسسة الكويت للتقدم العلمى ،الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ–٢٠٠٧ م

مقدمة:

تعتبر الوظائف الاقتصادية للأسرة من أهم دعامات التنمية الاجتماعية والاقتصادية خاصة فى مراحل اكتمال التكوين ، حيث أن وظيفة الأسرة الاقتصادية فى المجتمع لا تعنى أن المسألة رأسمال وإنتاج واستهلاك وامتلاك أرصدة فى البنوك او عقارات او غيرها ، وإنما المسألة هي الموقف من الحياة بجوانبها المتعددة الذي تترتب عليه إجراءات معينة تتم فى تعامل الإنسان مع عناصر الحياة وجوانبها بما فيها الجانب الاقتصادي ، ولم يغفل الإسلام الجانب المعيشي فى حياة الأسرة باقتصادياته وضروراته فى حياة الفرد وحياة الجماعة والتكامل بينهما .

والوظائف الاقتصادية للأسرة عديدة فى مجالات التنمية البشرية والتنمية الثقافية والدفاع الاجتماعي . وتبدو ادوار عديدة لأعضاء الأسرة فى عمليات لاستهلاك والادخار والإنتاج .

ويمكن تناول هذه الأدوار على النحو التالي :

- أدوار أعضاء الأسرة فى عملية الاستهلاك
- أدوار أعضاء الأسرة فى عملية الادخار
- أدوار أعضاء الأسرة فى عملية الإنتاج

أولا : أدوار أعضاء الأسرة فى عملية الاستهلاك :

يتضمن الاستهلاك عدة معاني منها الإسراف والتبذير والترف ، والإسراف يعنى تجاوز الحد فى الإنفاق (اى تجاوز حد الاعتدال فى الإنفاق) وقد حرم الله عز وجل الإسراف فقال تعالى : "يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا" .

ومن مضار الإسراف انه يوجه الطاقات الإنتاجية إلى الرفاهية على حساب الضروريات اللازمة للمحتاجين كما انه يبدد الموارد الاقتصادية للمجتمع حيث يقلل من الادخار وبالتالي يخفض الاستثمار .

والتبذير يعنى إنفاق مالا ينبغي إنفاقه (اى الإنفاق ببذخ على ما حرم الله) ومن أمثلة التبذير لبس الرجال الحلي والحرير وغيره مما يحل للنساء ، وكذلك الإنفاق ببذخ على الحفلات والمآتم .

والتبذير خطر يهدد كيان المجتمع حيث تنفق أموال بلا طائل فى المحرمات والباطل . ويحذر المولى سبحانه وتعالى من التبذير بقوله تعالى :

"ان المبذرين كانوا أخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا" .

والترف هو الإفراط فى التنعيم والانغماس فى الشهوات وبطر النعمة والخلد إليها ونسيان المنعم . والمترف مسرف ومبذر . ويحذر الله عز وجل من ذلك بقوله سبحانه وتعالى : "وأصحاب الشمال فى سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم أنهم كانوا قبل ذلك مترفين" .

وفى ضوء ذلك هناك دور هام وخطير لأعضاء الأسرة فى عملية الاستهلاك فهم أولى من غيرهم بالبعد عن الإسراف والتبذير والترف فيما حرمه الله ، وعليهم الإنفاق فيما احل الله بلا إسراف ولا تقتير لا تبذير ولا ترف .

وان كان الاستهلاك محركا أساسيا للنشاط الاقتصادي وباعثا على الإنتاج بلا شك ، فإن الإنسان المسلم المكتمل التكوين عليه مع أعضاء أسرته أن يقيم شرع الله فى الإنفاق لحفظ اللوازم الخمس الضروريات: حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ النسل ، وحفظ المال .

وعلى الإنسان المسلم أن ينفق بغير إسراف ابتغاء مرضاة الله مراعيا اولويات الإنفاق والضرورات وما زاد عن حاجته فللفقراء والمساكين والمحتاجين لتحقيق التكافل الاجتماعي بين أبناء الأمة ولإقامة العدل وتقوية البنيان الاجتماعي فى المجتمع الاسلامى .

ويجب التأكيد على أن الدين الاسلامى يحارب السلوك الاستهلاكي غير الرشيد حتى ولو كانت الموارد متاحة للإنسان بلا تكلفة وبلا حدود . ولنا فى رسول الله الكريم (ص) أسوة حسنة : "لا تسرف فى الماء ولو كنت على نهر جار".

وحقيقة فإن دور أعضاء الأسرة فى عملية الاستهلاك فى غاية الأهمية والخطورة فى آن واحد ، ومبررات ذلك كثيرة فيما يظهر من سلوك عدد غير قليل من المسلمين فى عمليات الاستهلاك والإنفاق ، من بينها :

- تشبه الشباب من الرجال بالنساء والعكس فى الشكل العام والسلوك خاصة فى الملابس والعلاقات بين الذكور والإناث فى المعاهد والكليات الجامعية .
- الإنفاق المظهري فى المآكل والملبس والمشرب بغير حاجة ولا ضرورة
- الإسراف على مباريات كرة القدم بغير وعى ولا ترشيد ، واستقدام مدربين أجانب تنفق عليه المليارات من أموال المسلمين الذين هم بحاجة ماسة إليها

– امتداد ساعات الإرسال التلفازى خاصة القنوات الفضائية ليل نهار بما تعرضه . فى كثير من الأحيان . من قيم وأفكار تنافى عقائد المسلمين

ولان الاستهلاك ضرورة من ضرورات الحياة ، وهو حلقة من حلقات الدورة الاقتصادية اللازمة للتنمية الاقتصادية ، فالمسلم ضمن أعضاء أسرة مكتملة التكوين ، فى إطار مجتمع اسلامى عليه أن يراعى الضوابط الشرعية التى تحكم السلوك الاستهلاكي ، أن من أهم هذه الضوابط ما يلي :

– الإنفاق الحلال المباح شرعا طاعة وعبادة لله عز وجل
– الإنفاق فى الطيبات وتحريم الإنفاق الخمر والميتة والخنزير
– الاعتدال والتوسط فى الإنفاق دون إسراف ولا تقتير ولا حبس للمال
– مراعاة مبدأ الاولويات فى الإنفاق كما وضعها فقهاء المسلمين وفقا لسلم الاولويات وهى : الضروريات ثم الحاجيات ثم التحسينات

ثانيا : أدوار أعضاء الأسرة فى عملية الادخار :

هناك أدوارعديدة لأعضاء الأسرة فى عملية الادخار ، وهى حلقة هامة فى عناصر العملية الاقتصادية ، وعناصر هذه العملية تتلخص فى الاتى :

قرار استثماري يتخذه صاحب رأس المال (يمكن أن تكون الأسرة مكتملة التكوين) ثم عملية إنتاجية تتولد نتيجة الاستثمار ، ثم استهلاك ، ثم ادخار ثم إعادة استثمار بمقدار يزيد او ينقص عن الادخار وهكذا تدور الحلقة وتتواصل ....

وتتعدد الخطط والأساليب والاستراتيجيات الداعية إلى الاهتمام بالادخار والاستثمار وزيادة التراكم الرأسمالي لدى الجماعة المسلمة ، حيث يؤدى كل من الفرد والأسرة والجماعة دورا بارزا فى توفير المناخ اللازم للادخار .

ومن أهم مبادئ الإسلام الحنيف فى عملية الادخار والاستثمار تلك التعاليم العظيمة التى توجه التنمية البيئية والمحافظة عليها ، ومن بينها :

– الدعوة إلى العمل وتعمير الارض وتهيئة مناخ الاستثمار
– رعاية الثروة الحيوانية والزراعية والاستثمار فيهما
– الاهتمام بالثروة المائية ورعايتها والمحافظة عليها وعدم الإسراف فيها
– المحافظة على الثروات المعدنية وغيرها من الثروات اللامعدنية
– الاعتدال وعم الإسراف فى استهلاك الموارد المادية والطبيعية

- المحافظة على نظافة وجمال البيئة
- النهى عن إفساد البيئة ومواردها الطبيعية

وإذا كان العمل والإنتاج هما أساس البناء الاقتصادي ، وكان ترشيد الإنفاق والاستهلاك دعامة من دعاماته ، فإن استثمار عائد العمل وفائض الترشيد من الأموال ، وعدم كنزها وحجبها عن الاستثمار ، تنمية لاقتصاد الفرد والمجتمع .

وهذا يعنى أن عملية الادخار التى تقوم بها الأسر لا يقصد بها اكتناز الأموال وحجبها بدون استثمار حتى لا يحدث كساد فى المجتمع وتتوقف حركة الاستثمار فيه ، إنما المقصود بذلك استخدام الأموال واستغلالها فى عمليات الإنتاج حتى تدور عجلة الاقتصاد وترتفع معدلات التنمية الاقتصادية وتنمى الثروة القومية .

وقد حرم الإسلام كنز الأموال وحبسها عن المسلمين ودعا إلى الإفادة منها "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم" .

ومن قيم الادخار فى الإسلام تحريم الربا ، لما فيه من قتل مشاعر العطف والإنسانية وعدم معاونة المحتاجين ومساعدتهم على تخطى ظروفهم المادية المتعسرة ، وإثارة أحقاد وضغائن الفقراء على الأغنياء المرابين "واحل الله البيع وحرم الربا" ، "يمحق الله الربا ويربى الصدقات" .

كما حرم الإسلام استغلال النفوذ للحصول على المال وادخاره ، كمن يشغل وظيفة او يتولى منصبا ، فيستغل مكانته ويعمل على كسب المال مما يعطل مصالح الناس ويضر باقتصادهم وكذلك باقتصاد المجتمع .

ومن قيم الادخار الاسلامى أيضا عدم اقتناء سلع معينة والاحتفاظ بها لما فيه من تبذير للمال وأضعاف اقتصاد المسلمين ، فقد نهى الرسول (ص) عن الحرير والشرب فى آنية الذهب والفضة .

إن قيما إسلامية عديدة مرتبطة بالادخار ، من بينها مايلى :

- تحريم الفائدة مما يقلل كلفة الإنتاج
- منع اكتناز المال مما يوفر التمويل اللازم للاستثمار
- قناعة المدخرين بثواب القرض الحسن
- ارتفاع الإنتاجية نتيجة الرقابة الذاتية والإلهية
- أداء الزكاة فى مصارفها المعروفة
- الحق فى تحقيق مكاسب مادية ومعنوية نتيجة الادخار
- الوفاء بالعقود والعهود والالتزامات
- الامتناع عن الغش والتدليس والخداع

– مداومة الادخار واستثمار المال فيما ينفع الناس

ثالثا : أدوار أعضاء الأسرة فى عملية الإنتاج :

من المعلوم أن عملية الإنتاج تحكمها عوامل وقى وضوابط مادية مثل الخامات ورأس المال والبيئة المادية وكل عناصر العمل الأخرى والإنتاج .

ومع هذا فالعنصر الاساسى فى عملية الإنتاج . وهو قوام العملية الاقتصادية . هو الإنسان (رأس المال البشرى) بقيمة الروحية ومعتقداته الدينية وسلوكه الانتاجى / الاستهلاكي .

ومن ثم كان الاهتمام . فى عملية الإنتاج . بالعنصر البشرى فهو المحرك الاساسى لعملية الإنتاج سواء على المستوى الفردي (أو الأسرة) أو على المستوى المجتمعي .

والقيم الروحية والمعتقدات الدينية ذات اثر كبير فى عملية الإنتاج حيث تشكل دوافع محركة للفرد لبذل أقصى ما عنده فى سبيل تعظيم الإنتاج وتجويده ابتغاء مرضاة الله تعالى ، تلك القيم والمعتقدات تجعل أعضاء الأسرة العاملين دائمي الإحساس بوجود الله مما يدفعهم بقوة إلى زيادة الإنتاج من حيث (الكم) وتجويده من حيث الكيف (الجودة) .

إن هذه الأحاسيس الدينية لدى الشخصية المسلمة كفيلة بجعل الإنسان أكثر تميزا مما سواه على الارض ، من ينتج أكثر وأفضل ؟ ذلك الذي يعمل لمقابل مادي او يعمل لوطن او يعمل لحافز معنوي ، أم من يعمل لوجه الله الكريم ؟ أليس الله العظيم (جل جلاله وعظمت قدرته) اكبر من الحافز المادي ومن المركز الاجتماعي ومن القيم القومية الوطنية ؟ وألا فما دلالة (الله اكبر) التى يرددها المسلم كل يوم أكثر من خمسين مرة !!!

وفى ضوء هذا سوف يزيد كم الإنتاج وتتحسن نوعيته متى توفرت فى أعضاء الأسرة المسلمة تلك الأحاسيس والمشاعر الربانية التى يترتب عليها نقص تكلفة الوحدة الإنتاجية وزيادة الربانية التى يترتب عليها نقص تكلفة الوحدة الإنتاجية وزيادة الإنتاج كما وكيفا مما يزيد القدرة التنافسية للأسرة وللمجتمع وفتح فرص عمل جديدة تساهم فى التغلب على المشكلات الاقتصادية وتدعم المركز السياسي للدولة فى الموازين الدولية .

ومن واجبات أعضاء الأسرة فى عملية الإنتاج عدم تحقير العمل أيا كان هذا العمل فى مجالات الزراعة والرعي والصيد والصناعة ... الخ

وقد حث الإسلام على الزراعة لتعمير الارض وإحياءها ، حيث يقول الحق عز وجل "ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون" كم يوجهنا الإسلام إلى الاشتغال بالزراعة والاهتمام بها "ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ...".

وعن الصناعة والاهتمام بها ودورها فى زيادة الإنتاج والتنمية الاقتصادية ، حث الإسلام على الاشتغال بالمهن والحرف والصنائع المختلفة "وعلمناه صنعة لبوس لتحصنكم من بأسكم .."

وكان النبي داود عليه السلام وابنه سليمان يشتغلان بالصناعة ويحترفان فيها "ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبى معه والطير وألنا له الحديد ..." .

وأخيرا ، وحتى يحقق كل أعضاء الأسرة أدوارهم فى عمليات الاستهلاك والادخار والإنتاج ، فإنه من الضروري التأكيد على أهمية التنشئة الاقتصادية من حيث جوانبها وآلياتها وأبعادها حيث أنها الأساس فى تبصير وتوعية النشئ بقيم الاستهلاك والادخار والإنتاج مما يجعل كل من أفراد الأسرة على وعى صحيح بالأدوار المطلوبة منه أداؤها .

والتنشئة الاقتصادية تعنى توجيه وتنمية قدرة الفرد على التعامل الفعال مع جوانب العملية الاقتصادية (إنتاج . استهلاك . وقت . اتجاه نحو العمل . تقنية ...).

وهناك جوانب وإبعاد كثيرة لعملية التنشئة الاقتصادية ، منها ما يخص عملية التربية الاقتصادية ، على سبيل المثال ، مايلى :

- ادارة راشدة للاستهلاك ، تتضمن دور الاستهلاك فى عملية الاقتصاد وفى حياة المجتمع وسبل ترشيده ، وحقوق وواجبات المستهلك
- أسلوب ادارة الدخل وتنمية مهارات التخطيط والتنظيم والإدارة
- التوعية بالمفاهيم الاقتصادية : الناتج القومي ، الموازنة العامة ، التضخم ، الإنتاج ، الاستهلاك ، الاستثمار ...الخ
- تنمية مهارات الادخار والاستثمار
- التوعية بالاقتصاد الاسلامى ، مفهومه وعملياته وآلياته .

وتسطيع مؤسسات التربية والتعليم والتثقيف أن تقوم بدورها فى عملية التنشئة الاقتصادية كل فى مجاله مما يكون له الأثر العظيم فى الوعي بالوظائف الاقتصادية للأسرة معرفة وسلوكا وتطبيقا .

قائمة المصادر

١. **أمين منتصر** : فرضية المنفعة الذاتية وأثرها على السلوك الاقتصادي ، فى ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية فى الإسلام ، مركز صالح عبدا لله كامل ومركز الدراسات المعرفية بالقاهرة فى ٢٧-٢٩ يوليو ٢٠٠٢م .

٢. **حسين حسين شحاتة** : اقتصاد البيت المسلم فى ضوء الشريعة الإسلامية ، القاهرة ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ١٩٨٧م .

٣. **حسين حسين شحاتة:** القيم التربوية والضوابط الشرعية للسلوك الاستهلاكي الاسـلامى فـي نـدوة التربية الا!ت ادية وا#نما"ية في ا#سلام & %ام$ة ا()'ر *مركز) ال- عبد ا, كام+. ومركز) الدراسا/ الم$رفية بالقا'رة & 01-02 يوليو & 0330

٤. **ربيع محمود الروبى** : المنهج الاسلامى فى الادخار والاستثمار ، فى ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية فى الإسلام ، مرجع سابق .

54 **سعاد** إبراهيم صالح : ا(س7 ا(6لا!ية والتشري$ية للا!ت اد الاسلامى & في م%لة منبر ا#سـلام & السنة *83. ال$دد *93. ديسمبر 0339:يناير0330

٦. **طريف شوقي فرج** : الأبعاد النفسية للتنشئة الاقتصادية بين الواقع المجتمعي والمتوقع الاسلامى ، فى ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية ، مرجع سابق .

٧. **عبد الغنى عبود** : التربية الا!ت ادية في ا#سلام & الط$ة ا(ولى & القا'رة الم رية & 9220

٨. **الغريب محمد بيومي** : التربية الاقتصادية الإسلامية بين الشكل والجوهر ، فى ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية فى الإسلام ، مرجع سابق .

٩. **محمد شوقي الفنجرى** : مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامى ، مجلة الأزهر ، الجزء الأول ، السنة ٧٤ ، القاهرة ، مجلة البحث الاسلامى ، ابريل ٢٠٠١ .

١٠ .**محمد عبد المنعم عفر** : المتطلبات الاقتصادية لتحقيق مقاصد الشريعة فى اقتصاد اسلامى ، سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية (١٠) الطبعة الأولى ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٩٩١ م

١١.**منى على السالوس** : مبادئ التربية الاقتصادية للمستهلك فى الإسلام ، فى ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية فى الإسلام ، مرجع سابق .

١٢.**مهني محمد إبراهيم غنايم (الكاتب)**: نماذج وحالات حول التربية الاقتصادية وأثارها ، فى ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية فى الإسلام ، مرجع سابق .